صفحات من الذاكرة

سعيد أغا مراد:

تجارة «البالات» العسكرية أدخلتنا إلى الكويت

أجرى الحوار: جاسم عباس

في سلسلة حلقات من قديم الكويت نقلب صفحات الذكريات مع الرعيل الاول من رجالات الكويت الذين تخضرموا في مرحلتي ما قبل النفط وما بعده، وطالما ان الحنين للايام الخوالي، الى الكويت القديمة، كويت الخير والبركة والحياة الاجتماعية المتألقة، هو القاسم المشترك الذي يجمعهم، فمن الانصاف ان يشمل معهم عددا من الوافدين من مختلف الجنسيات الذين قدموا الى الكويت قبل ٤٠ او ٥٠ سنة فجاهدوا وعملوا كل في مجاله، ومازالوا مساهمين في ورشة البناء والتنمية، ولن يستمر هذا التواصل والعطاء لولا محبتهم لهذا البلد الخير ومحبة الكويت وأهلها لهم،،

● سعيد أمين ميرزا آغا مراد

■ بعد احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ ضعفت تجارتنا فاستقررنا هنا

■ أول عمل لي كان في الخطوط الجوية الكويتية

■ برج مراقبة مطار النزهة كان «لاسلكي» في خيمة صغيرة

■ والدي أول من صنع «التوانكي» في الكويت

في مستهل لقائنا مع سعيد أمين ميرزا آغا مراد قال: نحن من شمال العراق من عشيرة «جاف» بين أربيل وسليمانية، ونحن من عائلة ميرزا الاسم يعني «القارئ والكاتب والمثقف» هاجر والذي مع اخوانه الى الكويت لبيع ملابس عسكرية للجيش الاميركي والانكليزي والالماني بعد تبديل ملابسهم الشتوية، تجمع كل مجموعة في ربطة واحدة تسمى «بالة»، اي حزمة من البضائع اذا احكم ربطها، واصل الكلمة ايطالي، وكان رحمه الله، ينتقل بين دول الخليج وفلسطين وسوريا ولبنان لبيع هذه «البالات».

وبعد احتلال فلسطين في عام ١٩٤٨ استقر في الكويت واصبحت تجارة الملابس الثقيلة غير مربحة والخليجي لا يرغب بمثلها بسبب حرارة الجو.

من البالات للتوانكي

وقال آغا ميرزا: بعد ان توقفت تجارتهم في «البالات» فكر والدي، رحمه الله، بصنع توانكي مياه على اعمدة حديدية لتوزيعها على الاهالي بواسطة مواسير، فقام بانشاء تانكي ضخم في الصفاة وآخر قرب بوابة الجهراء وعند دوار الشعب وبوابة البريعصي وهو اول من صنع واقام هذه الخزانات في الكويت.

وللاسف الشديد بعد هذه التكاليف الضخمة في تلك الفترة، يقال انها كلفت حوالي ٢٠٠ الى ٢٥٠ الف دينار، ازيلت كلها ولم تترك خزانا واحدا او موقعا للذكرى، وقال احد الشعراء في هذه التوانكي:

«كم بناء نقول فيه صواب
فإذا قام بعد طول عناء
حومت حوله الشكوك وقلنا
بعد ما تم بئس ذا من بناء».

وقال: والدي قام ببناء «أسكله ESCALE كلمة ايطالية تعني رصيف الميناء، في ابو حليفة بمساعدة الاميركان، شركة بوم روي الاميركية وعمل في بناء ميناء الشويخ حتى افتتاحه في عام ١٩٦٠، وكان دائما يقول لنا ان هذا الميناء عبارة عن رصيفين: طول الاول ٢٥٠٠ قدم داخل البحر والرصيف الثاني ١٢١٦ قدما، وكلمة الشويخ تصغير شيخ، وكان الكويتيون قديما يسمون الجزيرة الصغيرة القريبة من الميناء مقابل ثانوية الشويخ اي الجامعة حاليا، باسم جزيرة كورين، اي «القرين»، وبالقرب منها جزيرة «ام النمل» وفي عام ١٩٦٠ توفي والدي رحمه الله.

الخطوط الكويتية

وتحدث عن اول عمل له في الكويت بعد وفاة والده في شركة الخطوط الجوية الكويتية مع اعمامه الذين كانوا في تلك الشركة من بداياتها فقال:

اثناء عملي في الخطوط كنا ندرس ونتدرب وهدف الشركة تثقيف العاملين وتطوير في كل النواحي العلمية والتاريخية، عرفت ان أول طائرة لامست عجلاتها مدرجاً رملياً خلف السور كان عام ١٩٣٢، ثم أنشئ مدرج للطائرات في النزهة سنة ١٩٤٧، وجاءت فكرة تاسيس شركة الخطوط الجوية الكويتية من كبار رجالات الكويت وتجارها برأسمال «مليون روبية»، ثم اقترضت الشركة مبلغاً من المال من الحكومة مقابل شراء نصف أسهمها فتعدل اسمها إلى «مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية»، وكان أول مكتب لها في شارع الجهراء في أول عمارة بنيت فيه لـ «ثنيان الغانم»، وفي ١٩٦٣ انتقل المكتب إلى شارع الجديد مقابل المدخل الشمالي لسوق واجف ثم انتقل في ١٩٦٦ إلى المطار، وأنا عملت حتى عام ١٩٩٠ سنة الغزو الصدامي لبلد عربي جار.

برج النزهة

وقال أبو أسعد: لم يكن هناك برج للمراقبة في مطار النزهة الدولي، ظلت الطائرات تهبط في صحراء الكويت إلى أن أقيم مدرج النزهة عام ١٩٤٧، وبدأت الاتصالات بالطائرات أثناء الإقلاع والهبوط عن طريق جهاز لاسلكي من داخل خيمة صغيرة. وفي عام ١٩٥٩ انفردت شركة نفط الكويت بإنشاء مطار في الأحمدي لنقل موظفيها بعد ان ازدحم مطار الكويت، وأغلق بعد توسعة المطار الدولي وبقي يستقبل الطائرات حتى عام ١٩٦٢ ثم افتتح المطار الحالي في الأول من فبراير ١٩٦٢ وتحول القديم إلى عسكري حتى ١٩٦٨ عندما وزعت القسائم السكنية في ضاحية عبدالله السالم والنزهة، ونقل المطار العسكري نهائياً.

وتحدث عن أول محطة خارجية بين الكويت والبصرة في عام ١٩٥٤ بواقع ثلاث رحلات أسبوعياً، ومن ثم رحلة ثانية وفي اليوم نفسه إلى بيروت، وكان مطار النزهة يحتوي على سقيفة معدنية تستخدم للمسافرين، وورشة لأعمال الصيانة للطائرات.

«النزهة» كانت «الحديقة»

كما تحدث عن منطقة كانت تسكنها القلة القليلة من الكويتيين بالقرب من مسجد السهول الذي أنشئ عام ١٩٥١ في الشامية القديمة، واليوم تسمى ضاحية عبدالله السالم، مسجد أسسه ابن بعيجان فقال: أتذكر، كانت النزهة اسمها «الحديقة» ثم استبدلت، وأول صحة مدرسية أقيمت في الضاحية ومازال البناء موجوداً، كان فيها مزرعة وقصر الذي أصبح فيما بعد دائرة الخارجية رئيسها المغفور له الشيخ صباح السالم الصباح.

وفي عام ١٩٥٩ انتقلنا إلى المقوع الشرقي منزل سعد الدويلة إيجاره ٣٠ روبية شهرياً، شرق الديرة كانت أرضاً يحرق فيها الجص قرب سينما الحمراء والفردوس منطقة سكانها من الكويتيين أتذكر منهم: منصور الصراف، وقبازرد، والكندري، والعيسى، وزينل، وعبداللطيف إبراهيم النصف، وعزت جعفر، وعلي المتروك، وبيت الكوت، والشيخ جابر الصباح، وعوض الدوخي، والجيعان، أحمد السيد عمر، وأول روضة خاصة في الكويت «الجيل الجديد» كانت في فريجنا.

وأضاف: وهذه المنطقة تختلف عن المقوع الجنوبي كان يعرف بالمقوع فقط تبعد عن مدينة الكويت ٣٠ كيلو متراً وعن مدينة الأحمدي ١٠ كيلو مترات، قرية يقطنها عمال شركات النفط، ثم اكتشف فيها النفط بعد ان كانت سكنية، وفيها مستشفى أُنشئ سنة ١٩٤٨. وفي المقوع الشرقي كانت آبار عذبة شاهدتها بنفسي وكذلك الاراضي الشاسعة من المزروعات حتى بنيد القار، كنا نعتبرها منتجعا للراحة والاستجمام. وعن الدراسة قال: درست في مدرسة المأمون الابتدائية في منطقة الشامية، ثم في مدرسة المرقاب في ذلك الحي الكبير، واشهر الفرجان فريج المطران والرشايدة والعوازم والحساوية والعاقول، وام صده، والريش، وفريج ابن حسن، وابن حمود، ورميدان، الوزان، والقطان والناصرية، والرباح، والفضالة، والعبيدان، والحسينان، والدعيج، وعرفت اسماء الفرجان من خلال اخواني الطلبة واحتكاكي بهم، ويقال ان هناك ناديا اغلق سنة ١٩٥٩، ثم درست في مدرسة المثنى.

التراث الكويتي

وقال: في طفولتنا كنا مشغولين بالالعاب ومبتكراتها وهوايات لا تنسى، فانا ولدت على هذه الارض وشاهدت العديد من العاب التراث الكويتي ومارستها وشغلت اوقاتي بعد الدراسة في هذه المبتكرات، نعم والف نعم، كان الطفل الكويتي هاويا وصانعا لالعابه، فيقوم بصنع الفرارات والطيارات الورقية، وحتى الخيمة الصغيرة كانت من خياطته، وكافور النخل من العابه، والكرة الصوفية تسمى «طنباخية» كان يصنعها، والنبالة والعربانة والربابة لا تخلو من يدي ذلك الطفل العبقري، اين هم؟ وماذا يفعلون الآن؟ وحتى البندیرة كانت منهم (علم الكويت).

صبيانا كانوا يمارسون العابهم بين الفرجان، ينتظرون «النون»، مكسرات وحلويات وقطع من النقود من اعلى اسطح المنازل، دليل على فهم الكويتي واعتقاده بالنذور، العاب بيئية غابت عن حياتنا اليوم، والخشية من ان تغيب في المستقبل، وتبقى رسومات ولوحات على الجدران.

وتذكر الطائرات الورقية التي كان يطيرها الاولاد اثناء هبوب الرياح، ولعبة اللومية بقوانينها، وتذكر مصيدة الطيور التي تقام في شجيرة اصطناعية والعوعو «نجم البحر»، هدايا كانت تقدم للاولاد من البحارة، ولعبة من الطين الصلبي تسمي «طرباش لوماش..» ولعبة حلت الشيقة لا يلعبها الا العنيف، رحم الله تلك الايام والالعاب والمبتكرات.

الحبال.. والحداق

وتحدث عن حبال الطيور اي صيدها بالفخاخ والصلاليب، وفي فصل الربيع اي من بداية فبراير حتى نهاية ابريل، وبداية وصول طائر «القحافي» هو بداية الربيع، وآخره «الذبابي»، ومع الصيف تهاجر الطيور الى ايران وتركيا، واتذكر اذكى الطيور هو «الذبابي»، فكان يرمي الفخ بالحصاة، ويبدأ بأكل الطعم، واغبى الطيور «المردم» لدرجة انه يصطاد وباليد.

وذكر وسائل الصيد: الفخ:: الصلابة، النباطة والسالية، اما اسماء الطيور الجارحة: حمام عربي - حساوي - حسيني - رماني - قحافي.

والطيور ذات الاحجام الكبيرة: دياية اعدي، حمامة بر، وشرياصة، وحميميج، وبوحكب، والطيور التي نصطادها بالديدان: زعرة، بصوه، شوله، سلاحي، كوبعة، بنت الصباغ وامخضرم.

وقال ميرزا: هواية مازالت باقية حيث تجد الحداقة يزدادون سنة بعد سنة لهم مراس خاصة، وزوارقهم تتطور فيدخلون داخل البحر لمسافات بعيدة، وهم لا يهابون البحر وامواجه، بالاضافة الى البرد والرطوبة، وانا كنت مع الهواية رغم صغري ومع اخواني، كنا نضع الطاسة اي اناء الوالدة وعليها قطعة من القماش وفيها ثقب لدخول السمك مع طعم هو عبارة عن الطحين.

وطريقة اخرى لصيد السمك كنا نقوم بها «الخيط» المعروف بالميدار وفيه طعم، وعندما يأكل السمك الطعم يتعلق فمه بالميدار، نقول (نابر - نابر)، وهناك طرق اخرى ولكني لم امارسها مثل: القرقور - السم - الحضرة - طاروف - ساليه - مشبك - شرخ.

الباجة مفيدة جدا

وقال: كانوا يقولون لنا اذا اردتم الطاقة فمن الباجة تعطيكم الحركة والنشاط اليومي، وتساعدكم على توليد الانسجة الجديدة، فمنها الدهنيات. والباجة كلمة عراقية من اصل فارسي تعني الكراع ولحم الراس، واللسان، والكرشة (المعدة كلها)، ويستخرج من راس الغنم «المخ» بعد طبخه، وكنا نذهب الى اول محل في الكويت لبيع الباجة في سوق واجف اتذكر صاحبه «اسماعيل تقي» ثم فتح ابن اخيه «علي تقي» محلا في الشرق مقابل مخفر الصباح قديما، والعراقيون كانوا يترددون على المطعم لانها اكلتهم المفضلة، وكان يقول صاحبه: اللي يأكل باجه ما يتحاجه وافضل وقت وجبة الافطار في الصباح.

اما وجباتنا في البيت فكانت من يد الوالدة التي لا تخلو من المشخول والمعدس، والفقع المحموس، الموش والمكبوس، والجريش المضروب، والشبزي، ومطبق السمك.

وعن الحلويات قال: البلاليط بالبيض، صب الكفشة واللقيمات بالحليب، والعصيدة، والمحلبية، بيض القطا والرانكينة عبارة عن كوب زبد، ورطب، وهيل ناعم وكوب دقيق، وتمر معسل، واما المشروبات في المقدمة شراب بيذان، وبريهو، والقهوة المرة، وشاي دارسين.

شارع الجديد

وتذكر بيتا من الشعر عن الشارع الجديد:

«وين بن بحوه برأي السديد
اذكروا فعلته في شارعنا الجديد
كان قائدنا ومنه نستفيد»

ثم تحدث عن سنة تشييده في نهاية الاربعينات بعد ان ثمنت البيوت الواقعة في هذه المنطقة الممتدة من الصفاة الى السيف، وسمي بالجديد لاول شارع منظم يقام عليه عشرات المحلات، وبني على الطراز الحديث وللمرة الأولى استخدم الطابوق الاسمنتي، وواجهتها مفتوحة مغطاة بسقف تسمى باللواوين على اعمدة كبيرة لحماية المارة من الشمس والمطر، ومن الناحية الشمالية منه بين اول مقر لبنك الكويت الوطني.

وكان في الخمسينات من اهم الاسواق واكثرها نشاطا، شارع فيه الاجهزة الكهربائية والساعات والملابس والمواد الغذائية والمطاعم وبيع القرطاسية، والمقاهي العامرة، ولا يزال هذا الشارع يضم هذه المحلات، وقال: اتذكر سوق المفاتيح في سكة شارع الجديد، وكان الباعة يفترشون الارض، وامامه صندوق خشبي صغير يسمى (السحارة) يصف عليها المفاتيح القديمة وتحدث عن سوق الدجاج المتفرع من سوق واجف (الحريم) في حي الدهلة، كانت اصوات الدجاج والحمام ولا تسمع الا يوم الجمعة بالاضافة الى بيع البط والوز، وكان بيع الدجاج رائجا في تلك الايام، لان الكويتي كان يربي الدجاج للاستفادة من البيض، وكانت وجبة الدجاج نادرة وفاخرة بين الناس ولا يتناولها الا الاغنياء في الولائم والعزائم الخاصة.

● ..متحدثاً إلى الزميل جاسم عباس

● يسلم على الملاكم العالمي محمد علي كلاي عام ١٩٧٢.. ويبدو المرحوم صالح شهاب

الغزو الصدامي

صبيحة يوم الخميس الثاني من اغسطس ١٩٩٠، مشهد لا يوصف ولا يصدق، والصدمة عنيفة وكانت صفعة غدر لنا جميعا، الاجتياح العراقي الصدامي يدل على الانحدار والتردي والوغول الذي وصل اليه هذا الطاغي واعوانه.

واضاف ميرزا: لقد تمركز العدو في كل منطقة وحي وكل مكان فضلا عن السرقات التي حملها الى شمال العراق وجنوبه، وهذا يذكرنا بالغزاة بل عشرات السنين كما قرأنا في الكتب ورغم مداهمة البيوت وتفتيشها، ووجود السيطرات، لكن الصمود والتعاون والثبات والوفاء، والجهاد من صفات الكويتي وغيره من المقيمين الذين اثبتوا حبهم لهذا البلد، ورد الجميل لهذه الارض الخيرة الطيبة.

وتذكر مواقف عائلة ميرزا آغا مراد التي قدمت المساعدات للصامدين في الداخل، وقال: الكردي العراقي قدم المساعدة للعائلات الكويتية واعلن امام الملأ وفي هذه الصحيفة الوطنية «القبس».

كما نظم الكردي رحلة جماعية للكويتيين الى بغداد للاتصال باهاليهم بالخارج، ثم عودتهم الى الكويت، وبعضهم طلبوا العودة الى الداخل، وفعلا قمنا بهذه المهمة عن طريق الاردن، بالاضافة للاقامة في احسن الفنادق في بغداد،

وختم سعيد ميرزا بالقول: هذا ما كنا نستطيع ان تقدمه وهذه الخدمات تبقى تاجا على رؤوسنا لابناء هذه الارض الطاهرة.